E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

دور المذكرات الشخصية في ترسيخ التاريخ الجزائري

Personal notes role in solidifying the Algerian history

د. محمد غربي

جامعة سيدي بلعباس

gherbi@hotmail.fr

تاريخ الإيداع: **2019/01/10** تاريخ النشر: **2019/03/05**

الملخص:

تعتبر المذكرات الشخصية من مصادر الكتابة التي لا غنى لنا عنها لفهم تشكل الوعي الجمعي الجزائري، ومصدرا مهما للوقائع التي وثقتها عدد هامّ من رجال الأدب والسياسة، والمؤرخين، والإعلاميين، والمجاهدين، والعسكريين ، الذين اقتربوا أو عاصروا أو شاركوا في خضم الحدث، ليصف كل واحد منهم بأسلوبه الخاص مشاعره وملحوظاته ومشاهداته حيال التجارب والمواقف الإنسانية التي عايشها ورآها ومَرَّ بها. لهذا فإن عطاء هذا المصدر الهام والمتنوع في الكتابة، يظل "منفردا" من بين الكتابات المتعددة حول قضايا محددة في زمانها وفي مكانها.

الكلمات الدالة:

العلاقات الدولية، المجتمع المدني، تركيا، أفريقيا.

Abstract:

Personal notes are sources of writing that is indispensable to understand the collective consciousness are Algerian, And an important source of facts documented by a number of important men of literature and politics, historians, journalists, and the Mujahidine, the military, Who approached or politically or participated in the midst of the event, To describe each of them in his own style and who passed and its watchers about experiences and situations encountered by humanitarian and saw her and passed out. Therefore, this important source and diverse grant writing, "solo" among multiple writings on specific issues in its time and place.

Key Words:

.Personal notes, memory, historical documentation, heritage, scientific research questioning

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

حظيت الثورة الجزائرية باهتمام واسع من لدن المؤرخين الجزائريين والأجانب. فظهرت حولها منذ أيامها الأولى دراسات وبحوث. كما كتب بعض الجزائريين مذكراتهم التي وثقوا فيها معلومات وذكريات اتسمت بالأهمية، كونها صادرة عن أناس كان لهم دور في صنع تاريخ الثورة من جهة، ولهم الفضل الأول في إنقاذ الجزء اليسير من المعلومات عنها من الضياع بتسجيلهم إياها من جهة أخرى. وسنحاول أن نلقي الضوء على دور وأهمية هذه المذكرات في كتابة تاريخ الثورة الجزائرية، وهدفنا الإجابة على سؤال مهم وهو: ما هي أهمية المذكرات الشخصية وموقعها في الكتابة التاريخية المعاصرة؟ وهل يمكننا الاعتماد عليها لتكوين صورة واضحة عن حقيقة ثورة الفاتح نوفمبر وطبيعتها؟ ومن هنا تأتي مناقشة خلافية أخرى عن مدى قيمة المذكرات الشخصية وشرعيتها؟

يعرّف المؤرخ عبد العظيم رمضان المذكرات الشخصية[1] بأنّها" تشمل كل ما رُوي أو دُوّن من وقائع بهذه الصفة، سواء أسجّل في وقته ويومه أم سجّل بعد أن أصبح ذكرى؛ وبمعنى آخر يقصد بها اليوميات والذكريات المدونة أو المروية، والسيرة الذاتية"[2]. وهذا ما جعل<< أحمد بدر>> يقول بأن تداخل دلالة تسميتي السيرة الذاتية والمذكرات الشخصية، إنهما مفيدتان في الكتابة التاريخية، وعادة ما تكون المذكرات مادة أولية أكثر أصالة، ويمكن أن تكون المعلومات الواردة فيها ذات فائدة في اقتفاء نمو بعض الحركات التاريخية، لاسيما مذكرات الساسة الشخصية[3].

أدرك بعض المتخصصين هذا التداخل، وأكدوا بأن هناك خط فاصل بين المذكرات والسيرة الذاتية، فرجل السياسة، والقائد العسكري، والمسؤول عن الصناعة، والرحالة الكبير، كلهم يستطيعون سرد حياتهم حسب مكانة مؤسساتهم بموضوعية كبيرة تقريبًا؛ لكن كاتب المذكرات يساهم في تاريخ عصره أكثر من تاريخه الخاص، فتاريخه الشخصي يندمج في التاريخ العام الموضوعي، أما مؤلف السيرة الذاتية فإنه يمنح الأسبقية للمجال الخاص، والتذكر عنده "هو بعث معنى ماضٍ ما ينتمي إليه في ذاته وسيختفي باختفائه"[4] لأننا حين نقرأ السيرة الذاتية نجد أنها بنيت على الأسس العلمية والفنية والنفسية، وتقدم أوضح الصور وأدقها عن شخصية الكاتب. وهي تملء ذهننا بالصور والخيال، وتشعرنا حينما نستعرض مراحل حياتها، وظروف عصرها كأنما كنا نعيش هذا العصر. في حين عندما نقرأ المذكرات نجد بأنها جنسً تاريخي يحكي فيه صاحبها وقائع الحياة العامة التي كان شاهدًا عليها، أو كان له فيها دور ما. وغالبًا ما تكون الأهمية التي أعطيت للأحداث والتاريخ في هذه المؤلفات أكثر من الأهمية التي تعطى لشخصية الكاتب[5] أو تعكس ذاته أحيانا. ومن هذه الزاوية فهي تمثل معادلة ليست باليسيرة لأن من يركز على الجوانب الشخصية وعلى الحقائق فقط هو الشغوف بالتاريخ والتدوين والتدقيق. وفي هذا

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

السياق نجد عددا من المعاجم اللغوية يُدمِج بين المذكرات والسيرة الذاتية، حيث جاء في "معجم المصطلحات في اللغة والأدب" بأن المذكرات شكل من السيرة الذاتية، ومن الصعب إن لم يكن من المستحيل فصله منطقيًا عن السيرة الذاتية، باعتبارهما سرد قصصي. فكاتب المذكرات عادة هو شخص مؤثر قام بدور مميز في التاريخ[6]، أتيحت له الفرصة لكي يدون تجربة فردية يتم استحضارها اعتمادًا على الذاكرة التي من المحتمل أن تكون أكثر إثارة للقارئ عند نشرها. فيما يصنفها البعض الآخر ضمن "أدب الذّات" أو "كتابات الأنا"، أو التّاريخ المُذَوَّتُ " histoire subjective" أو الذّاكرة الموجَّهة "la mémoire manipulée"[7] أو تحت مسمى (الأوراق الخاصة) التي تشمل المذكرات واليوميات والرسائل المتبادلة مع الآخرين، والأوراق الشخصية[8].

خصائص كتابة المذكرات الشخصية:

يقول جان جاك روسو (1712 – 1778 م) في كتابه "اعترافات" **"** أنا أفعل شيئا لم يفعله شخص قبلي ولن يقدر شخص بعدي على تقليده**"** [9]، وبذلك تكون المذكرات الشخصية:

- ذات أهمية كبيرة للباحثين والمهتمين بالتاريخ لما تتميز به من محاولات جادة لإثراء وتوثيق كم هائل من الوثائق والصور والمراسلات والأخبار والتحليلات والحقائق والمعتقدات أو جزئيات الواقع المادي والرمزي أو معلومات تفصيلية، هائلة ومفيدة عن تاريخ المنطقة يرغب صاحبها في كتابتها أو في إيصالها ونقلها إلى الآخرين لسد[10] ثغرات يستشعرها الباحثون الذين يمطرونه بنقدهم وتساؤلاتهم وملاحظاتهم. فتتحوّل إلى نصّ مدوّنً يصبح في متناول الباحثين والمؤرخين الذين ربما لا يمكنهم أن يعثروا عليها في الوثيقة التاريخية[11].

- تعتبر من مصادر الكتابة التي لا غنى لنا عنها لفهم تشكل بعض الوعي الجمعي الجزائري في تلك الفترة[12]، ومصدرا مكمّلا يحدد أو يصحح الوقائع التي وثقتها المصادر التقليدية التي قد يكون الوصول إليها صعبا[13].

- تملأ الفراغات التي توجد في التاريخ المكتوب. خاصة إذا أدركنا أن من الأهداف الرئيسة للعلوم الإنسانية فهم الظواهر والتنبؤ بها والتحكم فيها قصد الوصول إلى إدراك واعٍ للظاهرة وما يرتبط بها من واقع[14]. وعلى أساس هذا التصور، أصبحت الكثير من المذكرات الشخصية تكتسي قيمة كبرى في توفير شروط الاستئناس في قراءة المصادر والوثائق المادية الدفينة، إلى جانب قيمتها الأكيدة في التوثيق للتراث الذي ينتجه المجتمع في سياق تطوراته التاريخية طويلة المدى.

- تضيف نتائج جديدة للحدث التاريخي.

- مارس كتابة المذكّرات عدد هامّ من الرواة الفاعلين (رجال الأدب والسياسة، المؤرخون، الإعلاميون، المجاهدون، العسكريون) الذين اقتربوا أو عاصروا أو شاركوا في خضم

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

الحدث/ الثورة، وعاصروا أحداثها أو اقتربوا منها وعايشوا ويلاتها وأهوالها ليصف كل واحد منهم بأسلوبه الخاص مشاعره وملحوظاته ومشاهداته حيال التجارب والمواقف الإنسانية التي عايشها ورآها في ميادين القتال واللحظات العصيبة التي مرت به[15] سواء في السجون أو خلال أوقات ترقب ضربات العدو والإحساس بقرب النهاية في كل لحظة. وكيف كان يجري تموين الجنود وتوفير احتياجاتهم من التغذية والمعدات، وما كان يتخلل ذلك من ارتباكات أو مصاعب إجرائية أو إدارية أو لوجستية تفرضها ظروف الحرب.

- تكشف لنا الكثير من الحقائق والأحداث وخبايا الثورة التحريرية المجيدة التي نجهلها، ومنها وجهات النظر المختلفة لقادة ومسؤولي الثورة الجزائرية[16] في بعض الولايات، والصراع بينهم مما أدى إلى موجة تشكيك في بطولة أبرز الزعماء.

إن الحرية السياسية في العالم الديمقراطي، وفر الفرصة للدولة لنشر وثائقها عن الماضي القريب بلا حرج، خدمة للرأي العام الراغب في الاطلاع على الحقائق، وللمؤرخين والباحثين في كتابة التاريخ. فازدهر أدب المذكرات، ونشر صناع السياسة والثقافة والفن مذكراتهم. ونشأت دور نشر تُعنى بأدب المذكرات، وتشكلت طائفة من الكتّاب المحترفين يكتبون تاريخ هؤلاء، أو يساعدونهم في كتابة مذكراتهم، بأسلوب مشوق بعيد عن الإغراق المُمِلّ في التحليل والتنظير. من هنا، ازدهر أيضا أدب المقارنة بين المذكرات، فتمكن الرأي العام من استخلاص الحقائق عن الماضي القريب، من خلال اختلاف الرواية والمعلومات الواردة في المذكرات والوثائق المختلفة[17]. إلا أن هذا النوع من التوثيق التاريخي ظل غائبا في الجزائر بسبب ضمور الحرية السياسية والثقافية في عهد الدولة الاستقلالية. وهكذا، غابت حقائق كثيرة، لأن أصحاب المذكرات وكتّابها:

- كانوا خائفين على أنفسهم من القمع والكبت[18]. وإذا كتبوا وسجلوا فكانوا يتهيبون سلطة الحاضر مما يخالف سياساتها. ومن ثمَّ فإن عددا كبيرا من الشخصيات الهامة في مسار ثورة التحرير رحلت دون أن تدون شهاداتها. منها على سبيل المثال <<بوصوف>>، <<أوعمران محند اولحاج>>، <<كريم بلقاسم>>، <<قاصدي مرباح"، <<هواري بومدين>>، <<قايد أحمد>>، <<شريف بلقاسم>>، <<عبد الحميد مهري>> و<<بن طوبال>> الذي كتب مذكراته، ولكن ورثته رفضوا أن ترى هذه المذكرات النور، وربما هي رغبة شخصية من الراحل في عدم إخراجها، خاصة إذا نظرنا إلى سنة بداية تدوينه لهذه المذكرات التي شرع في كتابتها في التسعينيات، وأنها لم تكن وليدة السنوات الأخيرة التي أعقبت رحيله[19].

- تعمّد كل قادم جديد إلى السلطة طمس وثائق سلفه، أو حجبها. وهكذا فقدت الأجيال الجديدة صلتها بالماضي السياسي القريب، وحدثت هوة فراغية هائلة بين الماضي والحاضر. لأن

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

الذاكرة جزء من الشخصية والهوية والانتماء[20]. وينبغي أن نكون على وعى بالقيمة التاريخية لمثل هذا النوع من الوثائق وبالتالي الوعي بقيمة إنتاجها وحفظها وإتاحتها.

– منع بعض الشخصيات من إصدار هذه الكتابات بحجة أن الجراح لم تلتئم بعد، في الوقت الذي كانت الذاكرة الفرنسية حريصة على تدوين أحداث حربها ضدّ الجزائريين من وجهة نظرهم أمثال <<إيف كوريير>> و<<كلود بادي>> وغيرهم، فالشخصيات التي كانت تدعم الثورة التحريرية الجزائرية من الضفة الأخرى عملت على التطرق إلى رجال الثورة الجزائرية وتأثر الجزائريين بنضالهم وتأثير ذلك على مسار الجزائر بعد الاستقلال. أما المؤرخون الذين انحازوا للمستعمر من الفرنسيين والأوروبيين عموما، فقد كانت كتاباتهم بعيدة عن الحقيقة وشاهد خائن للثورة ولأبطالها[21]

وفقًا لنظرية فرويد مؤسس التحليل النفسي الذي وضع نظرية" النسيان" لا التذكر، يقول بأن كل التجارب المهمة تسجلها الذاكرة وتختزنها، ولكن يتم استبعاد بعضها في دائرة الوعي، نتيجة عملية الكبت التي يقوم بها العقل اللاواعي باستمرار للتخلص من القلق[22]، وبما أن الذاكرة من الملكات الرئيسة للعقل الإنساني، والتي من وظائفها استعادة حدث في ماضي الشخص، ومعاصراته ومشاهداته. لكن هذه الاستعادة تظل نسبية[23]، وليست بالضرورة مطابقة للأحداث والوقائع التي خزنتها الذاكرة؛ لأنها عرضة للفرز والخطأ والتآكل مع الأيام أو الوهن والنسيان الجزئي أو الكلي، المؤقت أو الدائم. (كنسيان المواعيد، والتواريخ والأسماء والأحداث)، أو التعديل لتكون مرغوبة من وجهة نظر صاحبها "نظرية الترك والضمور"، أو تَذَكُّر معلومات شخصية خاطئة أو غير صحيحة إلى درجة الانتقائية والتحريف، بسبب عملية التصفية والفرز في الذكريات[24]. خاصة الأحداث المؤلمة التي تجرح خبايا النفس البشرية[25]. وهذا ما جعل بعض المؤرخين يرفضون القبول بأن المذكرات تاريخ حقيقي[26] لا وجود فيها لأي رقابة رسمية أو ذاتية، ويوجّهون الباحثين إلى عدم الثقة العمياء[27] بهذا المصدر التاريخي الذي يفتقد إلى الصدق والشفافية في كثير من الحقائق. وجعل آخرين يؤكدون بأن "الإفراط في الشك والاتهام في هذه الأمور يكاد يكون له نفس النتائج الضارة التي للإفراط في الثقة والاعتقاد"[28]. خاصة وأن استثمار عطاء هذا المصدر الهام والمتنوع في الكتابة، يظل "منفردا" (بسبب ثرائه) من بين الكتابات المتعددة حول قضايا محددة في زمانها وفي مكانها. لذلك، فإن تقييمها وتصنيفها وتشريحها وتحليلها وإبراز تناقضاتها أو عناصر قوتها تشكل مفاتيح لا غنى للمؤرخ عنها، شرط:

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

- الإحاطة الدقيقة بشخصية كاتب المذكرة وموقعه ودوره في الأحداث التي يتحدث عنها، ومدى اطلاعه على تفاصيلها، والتزامه بالموضوعية في سرد مذكراته وهي شروط قد لا تتحقق الا نادراً[29]، لأنها تجمع بين الذاتي والتاريخي.

- إعادة نظر الباحثين في قراءة المذكرات الشخصية وإخضاعها للتحليل المقارن الصارم وللنقد التاريخي الخادم للكتابة التاريخية.

- التحرر من النزعات الذاتية، وفق قناعات الولاء فيها لحقائق البحث العلمي ولأدواته العلمية المعروفة في البحث والتنقيب والانتقاء والتوثيق والتحليل والمقارنة بروايات أخرى.

- تحتل مرتبة ثانوية بالقياس الى التقارير والإحصاءات والوثائق الرسمية إذا كانت قاصرة عن رسم صورة شاملة ودقيقة للواقع السياسي أو الاجتماعي أو الاقتصادي للفترة التاريخية التي عاش فيها المؤلف[30].

- الابتعاد عن الأهواء والعواطف والمواقف التي قد تجرف الباحث عن مساره. خاصة إذا علمنا أن الإنسان بطبيعته حينما يكتب أو يتحدث[31]، عن نفسه، فإنه كثيرا ما يسعى إلى تلميع صورته وتدوين ما يرفع من شأنه ويعزز دوره في الأحداث التي أسهم في صنعها أو كان شاهدا عليها[32] ليظهر في صورة مصلح أو قديس. وهذا ما جُبلت عليه مادة المذكرات الشخصية في نسختها الجزائرية المقروءة حتى الآن[33]. ونادرا ما نجد نقداً ذاتياً أو مراجعة جادة وصادقة لبعض آراء أو مواقف المؤلف، أو اعترافا بأخطائه ومواقفه التي ربما ساهمت في جلب أضرار بالغة[34] على صعيد الممارسة السياسية، أو الاجتماعية أو العسكرية والتي تسيئ إليه خلال حياته أو بعد مماته. وبهذا تظل هذه المذكرات مجرد اعترافات وتبريرات واتهامات وتأملات شخصية وذاتية مشبعة ب "الأنا". بل وتجرّأ كثير من هؤلاء على تجاوز مستوى كتابة "تاريخه" الشخصي إلى كتابة التاريخ الوطني العام. وأكتفي بالتأكيد على أن للأمر استثناءاته، عكستها أعمال رجال ظلوا يصرون على أن ما يكتبونه إنما هو -في نهاية المطاف-إنقاذ جزء يسير من المعلومات من الضياع بتسجيلهم إياها[35]. ومن جهة أخرى خلاصة قراءة شخصية لوقائع معينة، تسندها وثائق مادية وقرائن ثابتة. تستنطق المسكوت عنه، مما لا يكون لكثير من المؤرخين الشجاعة الكافية للخوض في غمار التوثيق لتفاصيله، لأسباب متعددة.

أهم المذكرات الشخصية التي أثارت جدلا كبيرا عند صدورها:

1 – مذكرات علي كافي: "من المناضل السياسي إلى القائد العسكري1946-1962 " تناول فيها عدة قضايا مهمة منذ أيام الحركة الوطنية في الأربعينات، إلى أدق التفاصيل والحقائق التاريخية في عدد من المنعطفات الحاسمة في الثورة، مثل تطرقه بالنقد إلى مقررات مؤتمر الصومام لعام 1956 مركزاً بشدة على القرارات التي لم تطبق، ومنتقداً بشدة قرارات أولوية السياسي على

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

العسكري، مما تسبب في شرخ كبير وأليم في صفوف الثورة. فأصبح هناك من يقول: أنا من جيش التحرير، والآخر يقول أنا من جبهة التحرير. ووجه اتهامات خطيرة إلى "عبان رمضان" الذي فتح اتصالات سرية مع الإدارة الاستعمارية، ليعرج بعدها على ظروف وملابسات مقتله (على أيدي ثلاثة من كبار جناحها العسكري) في مارس 1957 بوجدة المغربية، بعدما كان التاريخ الجزائري الرسمي يسجله شهيداً سقط في ميدان الشرف بتاريخ 31 ديسمبر 1957. الشيء الذي أثار جدلا بين قادة الجيش المنحدرين من جيش الثورة وبين المتخرجين من الجيش الفرنسي. وفي الأجزاء الأخيرة من مذكراته، تطرق إلى صراعات القيادات السياسية والعسكرية، أثناء الثورة وعشية الاستقلال، وإلى التصفيات الجسدية التي كان أخطرها "مؤامرة لابلويت" المأساوية عام 1958 والتي قام بها العقيد <<عميروش>> بتدبير من المخابرات الفرنسية وذهب ضحيتها ما يقارب ألفي مثقف من طلبة الثانويات والجامعات ممن التحق بالثورة.

وتعليقا على ما جاء في هذه المذكرات يقول الباحث والكاتب <<لمجد ناصر>>، أن ما يطبع مذكرات الشخصيات عندنا هو الذاتية والجهوية، وهذا ما يبرز في المذكرات التاريخية، حيث تريد كل منطقة إبراز مزاياها على حساب باقي المناطق في الوطن، وتتجسد الجهوية حسب الباحث في مذكرات <<علي كافي>>، قائد المنطقة الثانية، الذي يتهم الكثير من رجال المنطقة الثانية ويظهر سلبياتهم، من <<عبان رمضان>> إلى <<عميروش>>، بينما لا نجد في مذكراته شيئا من هذا القبيل على منطقته، ناهيك عن الاختلاف في بعض الأحداث وكذا الاختلاف حتى في تصنيف الأشخاص أثناء الثورة. فمثلا قضية "زعموم" الذي كان قائدا للمنطقة الرابعة، هناك من يصنفه ضمن شهداء الثورة وتيار آخر يرى أنه خائن. وقد انتهى الجدل حول مذكرات <<علي كافي>> بإصدار محكمة دائرة "بئر مراد رايس" أمرا بسحب الكتاب من السوق وإعادة طبعه بعد حذف صفحات تتعرض بالإساءة الى شخصيات وطنية تاريخية، وتغريم <<علي كافي>> رمزيا بدينار واحد[36].

2 – مذكرات أحمد طالب الإبراهيمي: "مذكرات جزائري...أحلام ومحن"، في ثلاثة أجزاء نكتشف للوهلة الأولى أنه كان دوما ضحية، ضحية للاستعمار حين سجن، ضحية لـ: أحمد بن بلة حين قام بتعذيبه، وضحية للمحيطين بالرئيس الراحل هواري بومدين والذين كانوا دوما يريدون التخلص منه.ابتداء من مارس 1956 وإلى غاية فبراير 1957 تاريخ اعتقاله من قبل السلطات الفرنسية، دخلت السرية التامة حياة الإبراهيمي لما كلف به من مهمات خاصة تصب في مجملها باتجاه تحقيق التنسيق بين أعضاء فدرالية فرنسا وقيادة الجبهة التي غالبا ما كان يرى في بعض مواقفها الغرابة والازدواجية.

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

زجّت به الشرطة الفرنسية مع جملة من رفاقه من فدرالية فرنسا في السجن (من مارس/ فبراير 1956)، حيث التقى بالزعماء الخمسة: أحمد بن بلة ومحمد بوضياف وحسين آيت أحمد ويوسف خيضر ومصطفى الأشرف. ويؤكد المؤلف أن بعضا من الخمسة كان يحاول – مثلما فعل داخل مجموعته– اكتساب امتدادات له في جميع هيئات جبهة التحرير، وأن الشقاقات والازدواجية التي كانت تحدث في اجتماعات كل من المجلس الوطني للثورة ولجنة التنسيق والتنفيذ كانت قائمة على الولاء والتبعية الشخصية أكثر منها على خيارات أيديولوجية. لذلك يؤكد أن وفاة عبان رمضان المأساوية عام 1958 كانت نتيجة حتمية لازدواجية مسؤولي جبهة التحرير الوطني على مستوى القيادة الذين لم يكترثوا للحادث رغم دفاعهم عن مبدأ أولوية السياسي على العسكري.

وعن تشكيل الحكومة المؤقتة أوائل صيف 1953، رأى الإبراهيمي فيه طريقا لتسهيل عملية التفاوض مع فرنسا. وفي هذا الشأن يصرح بأنه خلال عامي 1960 و1961 وخلال إقامته بالسجن علم أن بوضياف تلقى رسالة من بومدين في سياق إبرام تحالفات كانت تعقد بين الحكومة والمساجين الخمسة بهدف الاستيلاء على الحكم، فرفض <<بوضياف>> العرض ولم يطعن في شرعية الحكومة المؤقتة التي كان عضوا فيها. وأمام هذا الرفض بدأ بومدين يبحث عن بديل، فأوفد مساعده عبد العزيز بوتفليقة في مهمة استطلاعية لدى الخمسة انتهت باستمالة أحمد بن بلة. وفي نفس السياق يشير إلى أن لقاءه مع آيت أحمد انتهى إلى أن السلطة اليوم يجب ألا تعتمد على الشخصيات التاريخية، الأمر الذي كان يحثه على الانسحاب من الساحة السياسية.

كان الخمسة محل اهتمام الإدارة الفرنسية لاسيما أحمد بن بلة الذي رأى فيه بعض الفرنسيين الضامن لجزائر اشتراكية، وبعض آخر رآه فيه الموحد بين المؤمنين ضد الماركسيين، في حين رأى فيه عبد الكريم الخطيب (قائد جيش التحرير المغربي) مساعدا أساسيا في إنشاء حركة إسلامية مغاربية.

3 – مذكرات بلعيد عبد السلام: "وقائع وتأملات حول مواضيع، حول ماض ليس ببعيد"، تطرق فيها إلى ذكرياته وشهاداته حول الثورة والأحداث التي عايشها منذ انخراطه في حزب الشعب الجزائري في 1944، وإدانته من طرف المحكمة العسكرية لقسنطينة في ماي 1945، في سن السابعة عشرة سنة من عمره.

سلط الكاتب الضوء على الحراك السياسي والنضالي قبيل اندلاع الثورة التحريرية، من حركة انتصار الحريات الديمقراطية، حزب الشعب وجمعية العلماء المسلمين وكذا النضال داخل دهاليز حزب الشعب الجزائري وأحداث 8 ماي 1945، وإنشاء المنظمة السرية. وأن العديد من الضباط القادمين من الجيش الفرنسي فتحوا النار على هذا الجيش نفسه في العديد من المرات أثناء

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

حرب التحرير، وأن الشيخ الإبراهيمي وقف ضد الثورة طوال وجوده في القاهرة، وفرحات عبّاس طلب مقابلة "لاكوست" قبل الالتحاق بالثورة، والإبراهيمي أتلف أرشيف "الشهاب" الشاهد على دعم "ابن باديس" للجزائر الفرنسية، والشاذلي مخادع، وطالب الابراهيمي زور التاريخ، وإقرار 16 أبريل يومًا للعلم خطأ ويجب تعويضه بعيد الطلبة في 19 ماي. ويؤكد بشأن "الزبيري" أنه كان "وطنيّا لكنه محاط بأشباه المثقفين المنحطين الذين استغلوا طيبته لتحقيق أطماعهم المادية والمعنوية، لذلك وجد الزبيري نفسه يخاطر بوحدة الجيش والوحدة الوطنية وكذا مساره الشخصي عقيدا في جيش التحرير الوطني، لتلبية أطماع مجموعة تفتقد الكفاءة والوطنية، حاولت لعب ورقة الجهوية[37].

4 – مذكّرات مارسيل يانيلي: بعنوان: "تألّمتُ للجزائر في عمر العشرين"، مع عنوان فرعي "مذكّرات مجنّد 1960 -1961"، لتقدّم شهادةً إضافيةً عن الثورة الجزائرية من وجهة نظر مجنّد يساري فرنسي مناهض لحرب استهدفت شعباً صامدا يناضل من أجل استرجاع سيادته. يطرح فيها الكاتب الأسباب التي جاءت به ليشارك في حرب يكرهها، فيجيب بأنه لم يقصد الجزائر ليحارب، بل لتوعية زملائه والقيام بعمله كمناضل من أجل السلم في الجزائر. كما تتطرّق أيضاً إلى جرائم الجنود الفرنسيين في حق المدنيين العُزّل، من اغتصاب وتعذيب ونهب؛ حيث عبّر كاتبها عن إدانته لها، مع الاعتراف بأنه لا يملك غير الإدانة، ويفتقر إلى القوّة لفعل أي شيء. كما كتب عن محاكمة أعضاء "شبكة جونسون" و"نداء مجموعة 121"، اللتان تبرزان مأساة شعب بين الواجب وروح العدالة. ويتطرّق إلى "قانون 2005"، الذي سنّه البرلمان الفرنسي، لتمجيد الاستعمار، وإبراز "الدور الإيجابي" لفرنسا في مستعمراتها السابقة. ليخلص في النهاية بأنه عار كبير أن تجرؤ أغلبية من نوّاب الجمعية الوطنية على المصادقة على قانون يؤكّد على ما أسموه دوراً إيجابياً لحضور فرنسا في مستعمراتها. إنه قانون يفرض الكذب الرسمي حول جرائم ومجازر وصلت حدّ الإبادة[38].

ولا يسعنا إلا أن نختم هذه المداخلة بالإشارة إلى أن تأريخ وتوثيق المراحل السياسية والوطنية والنضالية يحتاج الى عقل مؤسساتي وجمعي وعلمي وموضوعي قدر الامكان بعيدا عن الاعتبارات الخاصة والقراءة الذاتية، والتحيز الايديولوجي أو المذهبي رغم صعوبة ذلك. ويندر أن نقرأ لكاتبِ مذكرات اعترافاً بخطئه او خطأ حزبه أو جماعته وإذا ما برر فإنه يبرر دفاعا[39]، وبدون تحقيق ذلك، ستبقى الصراعات والاختلافات في قراءة التاريخ[40]. وهذا ما حدث مع بعض المذكرات الشخصية التي كتِبتَ من وجهة نظر خاصة بعيدا عن الحيادية، لأن أصحابها لم يجدوا حرجا في توزيع الاتهامات بالجملة ضد الفاعلين الرئيسيين بتزكية هذا وتخوين ذاك وتوجيه ضربات رخيصة لهم. تطورت أحيانا إلى "التلاسن" واتخاذ أبعاد جهوية، وتحريك نعرات

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

عصبية، وتضخيم الأدوار، وإهمال شخصيات وأحداث ومواقف، وتصوير أنفسهم بأنهم الضحايا الذين عانوا التهميش، وإطلاق الأحكام "الكبرى"، واختلاق الأحداث، وتبخيس أداء "الآخر الوطني" بأساليب شتى ولأهداف واهية لتصفية حسابات قديمة مع المنافسين/الخصوم[41]. وهذا ما جعل هؤلاء لا يدركون أن الصمت أفضل من مغالطة التاريخ، وأن النقاش يبتعد عن البحث عن الحقيقة التاريخية، ويحتدم عند تعرضهم لبعض محطات الثورة الجزائرية[42]. بل ويهزم المؤرخين، لأن هذه الاتهامات والمناوشات الكلامية ساهمت بشكل كبير في زعزعة ثقة جيل ما بعد الاستقلال بالثورة، وتغيرت نظرته عن عظمتها، وذلك بسبب التناقض الصارخ بين تلك المذكرات والشهادات وما يدرس في المناهج التربوية. لهذا ندعو النخب في الجزائر إلى الالتفاف حول الملتقيات الوطنية التي تنظمها الجامعات حول الثورة وذلك من أجل تكريس رهان الفعل التاريخي بصبغة أكاديمية نزيهة، بعيدًا عن التزييف لمحطات التاريخ الجزائري، وبدل التراشق من خلال التصريحات.

الهوامش

[1] – يمكن ان تشمل الوثائق والمقتطفات من الرسائل واليوميات والأخبار المنشورة في الدوريات والنشرات.

[2] – عبد العظيم رمضان، مذكرات السياسيين والزعماء، ط2، القاهرة، مكتبة مدبولي، 1981، ص 22.

[3] – أحمد بدر، أصول البحث العلمي ومناهجه، وكالة المطبوعات، الكويت، ط5 ، 1979، ص ص 241-242.

[4] – جورج قوسدورف،" التاريخ مؤسطرًا"، في الأجناس الأدبية من الضبط إلى العبور، ترجمة الأمين بن مبروك، صفاقس، مكتبة علاء الدين،2008 ، ص73.

[5] – محمد أولحاج، بيداغوجيا تحليل الخطاب، السيرة الذاتية، المكونات، والروافد، الدار البيضاء، مكتبة السلام الجديدة، والدار العالمية للكتاب،2006 ، ص35

[6] – مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات في اللغة والأدب، بيروت، مكتبة الآداب، د .ت، ص190

[7] – "التّاريخ المذوّت" هو ضرب من الكتابة التّاريخيّة يصنعه كاتب أو مؤرّخ من خلال تجربته الحياتيّة وإمكانيّاته الإدراكيّة والشّعوريّة والفكريّة ومرجعيّاته التّذكّريّة الخاصّة. أنظر: http://alrai.com/article/449871.html.

[8] – عبود العسكري، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، دار النمير للطباعة، دمشق، 2007، ص51

[9] – صلاح شعيب، أدب السيرة الذاتية ومذكرات السفير عطاء الله، موقع "سودانيز اون لاين"، 2017/01/23.

[10] – ميلاد المقرحي، مداخلات ضمن مناقشات الجلسة العلمية السادسة في أعمال المؤتمر الأول للوثائق والمخطوطات، ج2 ، ص ص 875-876.

[11] – إسماعيل أحمد ياغي، مصادر التاريخ الحديث ومناهج البحث فيه، مكتبة العبيكان، الرياض، 2000، ص 38.

[12] – ربحي عليان وعثمان غنيم، أساليب البحث العلمي، الأسس النظرية والتطبيق العملي، عمان، دار صفاء للنشر والتوزيع،2004 ، ص16

[13] – فتحي ليسير، تاريخ الزمن الراهن، عندما يطرق المؤرخ باب الحاضر، صفاقس، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ودار محمد علي الحامي،2012 ، ص8 .

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X
DM

[14] – المرجع نفسه، ص16

[15] – ديفيد هينج، دراسة التاريخ من خلال الروايات الشفهية، ترجمة ميلاد المقرحي، بنغازي، منشورات جامعة قاريونس،2003 ، ص21 .

[16] – علاوة عمار وآخرون، نصف قرن من البحث العلمي بالجامعة الجزائرية (1962-2012)، منشورات كلية الآداب والحضارة الإسلامية، قسنطينة، 2013، ص 23.

[17] – غسان الإمام، جريدة الشرق الأوسط، أدب المذكرات: الصمت أفضل من مغالطة التاريخ، العدد 9716، الثلاثاء 27 جمادى الاولى 1426 هـ 5 يوليو 2005.

[18] – عرفت المذكرات المتعلقة بالثورة انتشارا كبيرا في عهد الرئيس الراحل بومدين، ولكن غالبية هذه الأعمال لم تصدر في الجزائر بل في فرنسا. ويعتبر مصطفى ماضي أن أول مذكرات صدرت في الجزائر. أنظر: إبراهيم خليل العلاف، ملاحق جريدة المدى اليومية، ذاكرة عراقية، العدد 4155، الأربعاء 2018/03/14.

[19] – المرجع نفسه

[20] – غسان الإمام، مرجع سابق.

[21] – متى سيكتب صناع الثورة التحريرية أسرارهم، مرجع سابق.

[22] – سامي خشبة، مصطلحات فكرية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1997، ص131

[23] – كتب غالبية السياسيين الجزائريين ورجال الدولة مذكراتهم بعد تقاعدهم أو اقترابهم من التقاعد، ما يعني انقضاء سنوات طويلة بين ما عاصروه من أحداث وبين وقت الكتابة.

[24] – محمد قاسم عبد الله، سيكولوجية الذاكرة، قضايا واتجاهات حديثة، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، شباط /فبراير، 2003، ص 290.

[25] – عبد الرحمن العيسوي، مناهج البحث العلمي في الفكر الإسلامي والفكر الحديث، بيروت، دار الراتب الجامعية،1997، ص ص56.57

[26] – المذكرات السياسية...تعددت الأسباب والهدف واحد، موقع د. خالد غازي، 24 مارس 2018.

[27] – يقول المؤرخ "لانجلوا وسينوبوس" بأن الباحث التاريخي في حالة اعتماده المذكرات والشهادات الشخصية، يتعامل مع عقل المتذكر والشاهد وما تركته الواقعة فيه. أنظر: لانجلوا وسينوبوس، المدخل إلى الدراسات التاريخية، في النقد التاريخي، ترجمة عبد الرحمن بدوي، القاهرة، دار النهضة العربية، 1970، ص 69

[28] – المرجع نفسه، ص 93.

[29] – جودت هوشيار، دراسات وابحاث في التاريخ والتراث واللغات، الحوار المتمدن-العدد 3863، 2012/08/27.

[30] – المرجع نفسه.

[31] – يرى "روبيرت ماكروم" الكاتب في صحيفة "الأوبزيرفو" البريطانية أن الغرور وتحقيق المصالح الذاتية، تبقى الأسباب الحقيقية وراء كتابة المذكرات. أنظر: خالد غازي، مرجع سابق.

[32] – إن أي مذكرات هي مجموعة من الاختيارات التي يحددها صاحبها اعتماداً على معايير ذاتية غير معلنة، فقد يرى أن بعض الأحداث غير ضرورية ولا تهم جمهوره المستهدف، وذلك رغم أهميتها التاريخية.

[33] – صلاح شعيب، مرجع سابق.

[34] – سعد بدير الحلواني، مدخل إلى علم التاريخ ومناهج البحث فيه، القاهرة، بدون ناشر، 2001، ص 144.

[35] – إبراهيم خليل العلاف، ملاحق جريدة المدى اليومية، ذاكرة عراقية، العدد 4155، الأربعاء 2018/03/14

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

[36] - علي كافي: "من المناضل السياسي إلى القائد العسكري1946-1962"، دار القصبة، الجزائر، 1999.

[37] - جريدة الشروق اليومية، العدد 27610، 13/09/2017.

[38] - Marcel Yanelli 1960-Carnets d'un appelé 1960 - J'ai mal à L'Algérie de mes vingt ans. 1961.L'Harmattan. 20016. وأيضا : موقع العربي الجديد، 10/04/2016

[39] - رشيد الخيون، صحيفة الأيام، 20 اكتوبر، 2007

[40] - http://alrai.com/article/449871.html

[41] - ساهم الكثير من القادة العرب من غير الجزائريين في تأجيج هذا الصراع. أنظر: فتحي الديب، عبد الناصر وثورة الجزائر، دار المستقبل العرب، القاهرة، ط2، 1990.

[42] - علاوة عمار، مرجع سابق، ص 23.